جمالات الطبيعة والفنون؟ وكيف نوفّق بين عدل الله ورحمته وحنانه وبين نارٍ أبديّة السعير يشوى بها الخطاة فلا هم يترمّدون، ولا هم من خطاياهم يتطهّرون؟

ألعلّ الله، والآزال والآباد في قبضته، شحيح وقاسٍ إلى حدّ أن يبخل علينا بفسحة من الزمان تكفينا لمعرفة أنفسنا ومعرفته؟ ألسنا من الله وفيه؟ فعلامَ لا يمتدّ عمرنا ما امتدّ الزمان؟ وعلامَ نقف عند الولادة كما لو كانت البداية وعند الموت كما لو كان النهاية، ولا بدايات في الزمان ولا نهايات؟ أما ما نراه من تقلّب وتبدّل في المحسوسات فليس أكثر من تحوّل في طبقات الدياجير التي تكتنف النور فينا. لكنّما النور باقٍ. وهو لا يتحوّل ولا يتبدّل. فلا الولادة تشعله ولا الموت يطفئه. وما الموت إلّا انتقال النور من مصباح إلى مصباح ـ من إناء إلى إناء ـ من حال إلى حال. ونحن ما أوتينا من حدّة البصر ما يمكّننا من رؤية أجسام كثيرة نشربها في الماء الذي نشرب ونتنشّقها في الهواء الذي نتنشّق. فأي عجب إذ ذاك أن لا نبصر المصابيح أو الآنية التي ينتقل إليها النور بعد الموت، وقد تكون من موادّ ليست من الكثافة والخشونة بحيث نتمكّن من الاتصال بها مباشرة بحواسّنا الكثيفة الخشنة؟

لست أريد أن أتبسط في الحديث عن الحياة بعد الموت.